

قل يا أيها الكافرون
لا أعبد ما تعبدون

حقوق الطبع محفوظة إلا لمن أراد إعادة طباعته
بعد مراجعة المؤلف

الطبعة الأولى
١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

دار الكوفة
للتنسيق والنشر والتوزيع والتعريب والإعلان

الفروانية - شارع المطافي - مجمع التوحيد

تلفاكس: ٢٤٧٢٠٧٠٧

قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون

كتبه راجي عفو ربه

سالم بن سعد الطويل

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

جزى الله خيراً

كل من أعان أو ساهم في نشر هذه الرسالة



قل يا أيها الكافرون
لا أعبد ما تعبدون

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره
المشركون، والصلاة والسلام على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن الله تعالى خلق الجن والإنس لعبادته
وحده لا شريك له كما قال تعالى: ﴿وَمَا

خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذريات: ٥٦]

وبإخلاص الدين أمرهم لا بسواه، كما قال
تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ

الَّذِينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ
دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿البينة: ٥﴾، وقال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ
الَّذِينَ خَالَصُوا﴾ [الزمر: ٣]، ومفهوم الآية ما لم
يكن خالصاً فليس لله، والله تعالى غني عنه
لا يقبل من عباده إلا ما كان خالصاً، وفي
الحديث القدسي قال الله تبارك وتعالى: «أنا
أغني الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك
فيه معي غيري تركته وشركه»^(١).

والواجب على المسلم أن يخلص لله
تعالى ويعتقد أن الذين يعبدون الله تعالى
ويعبدون معه غيره ليسوا بمسلمين بل يجب

(١) رواه مسلم (٢٩٨٥).

أن نجزم بأنهم كفار بسبب شركهم بعبادة الله تعالى .

فليس الكافر من يعبد الشيطان أو يعبد الأصنام فحسب ، بل حتى الذين يعبدون الله تعالى ويعبدون معه غيره كفار أيضاً .

وهذه مسألة مهمة جداً لا يستقيم دين المسلم حتى يعتقد أن الدين كله لله وحده ، وأن كل من عبد غير الله تعالى فهو كافر ما لم يخلص الدين لله ويعبد الله وحده .

أخي القارئ وفقني الله وإياك لمرضاته اعلم أرشدك الله للحق أن المشركين الأوائل كانوا يعبدون الله تعالى ولم ينفعهم ذلك شيئاً

لأنهم كانوا يعبدون مع الله تعالى غيره من الأولياء والأصنام.

فكانوا يقولون في تلبيتهم بالحج: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك)، فهذا أوضح من أن يُوضح بأنهم كانوا يعبدون الله لكن لم يخلصوا الدين لله لذا فهم كفار مشركون لا تنفعهم عبادتهم لله ولا إقرارهم بربوبية الله حتى يخلصوا لله ويعبدوه وحده لا شريك له.

لذلك أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يعلن البراءة من العمل الذي يعمله المشركون

فقال: ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا لِكُفْرُونًا ۖ لَا أَعْبُدُ مَا
تَعْبُدُونَ ﴿١﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٢﴾ وَلَا أَنَا
عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴿٣﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٤﴾ لَكُمْ
دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٥﴾﴾ [الكافرون].

الأحاديث الواردة في فضل سورة

«الكافرون»:

١- عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «... ومن قرأ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ عدلت له بربع القرآن...»^(١).

٢- عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لدغت النبي ﷺ عقربٌ وهو يصلي، فلما فرغ قال: «لعن الله العقرب، لا تدع مصلياً ولا غيره، ثم دعا بماء وملح وجعل يمسح عليها، ويقرأ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾»^(٢).

(١) رواه الترمذي (٢٨٩٣)، صحيح الجامع (٦٤٦٦).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الصغير وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٥٤٨).

٣- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قرأ في ركعتي الفجر ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾» (١).

٤- عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: ما أحصى ما سمعت من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ في الركعتين بعد المغرب وفي الركعتين قبل صلاة الفجر بـ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (٢).

٥- عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: في صفة حج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفيه قال: ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ. فقرأ: ﴿وَأَخْذُوا مِنْ مَقَامِ

(١) رواه مسلم (٢٠٤١).

(٢) رواه الترمذي (٤٣١) وقال الألباني: حسن صحيح.

إِبْرَهُمْ مُصَلًّى ﴿البقرة: ١٢٥﴾ فجعل المقام بينه وبين البيت . فكان أبي يقول : «ولا أعلمه ذكره إلا عن النبي ﷺ : كان يقرأ في الركعتين ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ، ﴿قُلْ يَتَّيَّهَا الْكٰفِرُونَ﴾»^(١) .

٦- عن عبد العزيز بن جريح قال : سألنا عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بأي شيء كان يوتر رسول الله ﷺ؟ قالت : كان يقرأ في الأولى بـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ وفي الثانية بـ ﴿قُلْ يَتَّيَّهَا الْكٰفِرُونَ﴾ وفي الثالثة بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوذتين^(٢) .

(١) صحيح مسلم (١٢١٨) .

(٢) رواه الترمذي (٤٦٣) وابن ماجه (١١٧٣) وصححه الألباني في

صحيح الجامع (٩٧١) .

٧- عن فروة بن نوفل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله علمني شيئاً أقوله إذا أويت إلى فراشي، قال: «اقرأ ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا لِكُفْرُونٍ﴾ فإنها براءة من الشرك»^(١).

٨- عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: كان رسول الله ﷺ يقول: «نعمت السورتان يُقرأ بهما في ركعتين قبل الفجر ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا لِكُفْرُونٍ﴾»^(٢).

(١) رواه الترمذي (٣٤٠٣) وأبو داود (٥٠٥٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١١٦١).

(٢) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه وابن حبان وصححه الألباني في الصحيحة (٦٤٦).

ما اشتملت عليه سورة الكافرون من

فوائد ومسائل :

١- الإعلان بكفر الكافر وتسميتهم بلقب «الكافرون» الذي سماهم الله به، ولا يجوز تسميتهم بغيره أو التوقف عن إطلاق الكفر عليهم.

٢- كفر من لم يكفر الكفار لما فيه من تكذيب الله تعالى إذ كَفَرَهُمْ وسماهم (كافرين).

٣- بطلان قول من قال: إن إطلاق لقب (كافر) على غير المسلمين يُولد الإرهاب المذموم شرعاً، وهذا باطل وممتنع، بل الواجب تنزيه القرآن عن ذلك.

٤- أن كل من لم يعبد الله وحده ولم يرتضِ الإسلام ديناً فهو كافر ولو كان يهودياً أو نصرانياً.

٥- أن الكفار يعبدون الله تعالى لكن لما أشركوا مع الله غيره صارت عبادتهم باطلة وهي كعدمها لذلك قال الله تعالى لنبيه ﷺ أن يقول للكفار: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ أي: الأصنام والأوثان والأولياء ثم قال: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ أي: لست عابداً كعبادتكم الشركية ولا أقبلها ولا أرضاها.

٦- أن عبادة الكفار لله تعالى لا تنفعهم لأنها حبطت بالشرك.

٧- مشروعية نداء الكافر بلقب (أيها الكافرون) للبراءة منه ومن عبادته .

٨- بطلان دعوة (وحدة الأديان) التي يتبناها بعض الدعاة هنا وهناك وبين الحين والآخر قال تعالى : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩] ، وقال تعالى : ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] .

٩- استفاد من تكرار سورة «الكافرون» تأكيد التوحيد في نفس المؤمن وقلبه وتوكيد البراءة من الشرك وأهله .

١٠- لا يجوز مجاملة الكفار ومداهنتهم

- وتسميتهم بغير ما سماهم الله تعالى به .
- ١١- أن سورة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ إنما تعدل ربع القرآن لاشتمالها على إخلاص الدين لله تعالى والبراءة من الآلهة الباطلة وعبادتها وعبادها .
- ١٢- في سورة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ معنى لا إله إلا الله .
- ١٣- المسلم يقتدي بالنبي ﷺ فيعبد الله وحده لا شريك له ولا يرضى بعبادة المشركين ويتبرأ منهم ومن آلهتهم .
- ١٤- مشروعية قراءة سورة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ على لدغة العقرب .

١٥- أن في قراءة سورة ﴿قُلْ يَتَّيِّبُهَا الْكٰفِرُونَ﴾

قبل النوم عندما يأوي المسلم إلى فراشه

براءة من الشرك.



تفسير مختصر لسورة «الكافرون»

قوله: ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا لَكُمْ أَهْلُ الْكِفْرِ أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ﴾
 تعالى لنبيه ﷺ ولكل من يصحح أن يوجه له
 الخطاب أن يعلن لكل كافر على حد سواء من
 أي نوع من الكفار للبراءة منه ومن عبادته
 وقوله: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ أي: لا أعبد
 الذين تعبدونهم من الأصنام والأوثان والأولياء
 والصالحين وغيرهم وقوله: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ
 مَا أَعْبُدُ﴾ أي: ولا أنتم عابدون من أعبد وهو
 الله تبارك وتعالى وقوله: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ
 ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ أي: لن أقبل

ولن أرضى غير عبادتي ولن أقبل عبادتكم وهي
(الشرك) وأنتم كذلك لن تقبلوا ولن ترضوا
عبادتي وهي الإخلاص وقوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ
وَلِيَ دِينِ﴾ أي: لكم دينكم الذي أنتم عليه
وتدينون به ولي ديني الذي أدين الله تعالى به
وأنا بريء من دينكم . وأنتم بريؤون من ديني .

أخي القارئ الكريم هذا ما يسر الله لي
جمعه فيما يتعلق بهذه السورة العظيمة والله
أسأل أن يرزقني وإياك الإخلاص بالقول
والعمل والحمد لله رب العالمين وصلى الله
وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين .

اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على
مَنْ لا نبي بعده، أما بعد:
فلقد قرأت كلمةً جميلةً للإمام ابن القيم
رَحِمَهُ اللهُ بَيْنَ فِيهَا مَا يَحْصُلُ فِيهِ كَمَالُ الْإِنْسَانِ،
فقال: «كمال الإنسان مداره على أصليين:
معرفة الحق من الباطل، وإيثار الحق على
الباطل، وما تفاوتت منازل الخلق عند الله في
الدنيا والآخرة إلا بقدر تفاوت منازلهم في
هذين الأمرين»^(١) . ا. هـ.

(١) من كتاب «الجواب الكافي» صفحة (٩٩).

فما أجمل هذا الكلام! وما أحكمه من عالم جليلٍ قد ألانَ الله تعالى له الكلام كما ألان الحديد لداود عَلَيْهِ السَّلَامُ! فقلوه: «كمال الإنسان» أي أن الناس يتفاوتون، فليسوا سواء ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُاذِنُ اللَّهُ﴾ [فاطر: ٣٢]، وهذا اعتقاد أهل السنة والجماعة، فالإيمان، والإسلام، والدين، والتقوى، والبر، والخير، والإحسان، والهدى، والنور، والاستقامة، وغير ذلك من الأسماء والألقاب تتفاوت تفاوتاً كبيراً في قلوب الناس، وهي تزيد وتُنقص، ولبيان سبب هذا التفاوت،

قال: «مداره على أصليين» أي لذلك التفاوت والقرب من الكمال والبعد عنه يرجع إلى أصليين اثنين، هما سبب التفاوت:

الأول منهما: «معرفة الحق من الباطل» والمراد بالمعرفة أي العلم الذي تحصل به الهداية والتمييز بين الحق والباطل، فبالعلم يمكن للعبد أن يعرف التوحيد والشرك، والسُّنة والبدعة، والفضيلة والرذيلة، والمعروف والمنكر، والحسنة والسيئة، وغير ذلك، وفي الحديث: «من يُرد الله به خيراً يفقهه بالدين»^(١)، فمتى ما استنار العبد

(١) أخرجه البخاري (٧١) ومسلم (١٠٣٨).

بالهدى حصل له النجاة من الردى . وهذا العلم هبةً من الله تعالى ، يرزقه الله تعالى مَنْ يشاء مِنْ عباده ، فشرع الله تعالى لِنَبِيِّهِ ﷺ أَنْ يسأله الزيادة منه ، فقال - جل وعلا : ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤] ، ولم يأمر الله تعالى نبيّه أن يسأله الزيادة من شيءٍ سوى العلم لما فيه من تحقيق الكمال ، ولما فيه من سعادة الدنيا والآخرة ، ومثل هذا قوله تعالى في سورة الفاتحة : ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ وقد شرع لنا رسولُ الله ﷺ - بإذن الله تعالى - قراءة سورة الفاتحة في كلِّ ركعةٍ من فريضةٍ أو نافلةٍ ، وفيها هذا الدعاء : ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ

الْمُسْتَقِيمَ* أَي: أرشدنا وبلغنا صراطك
المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، فما أحوج
المسلم إلى العلم الشرعي ليعرف الحق من
الباطل، ويميز الخبيث من الطيب!

ثم اعلم أخي القارئ الكريم أن العلم
بالتعلم، فيجب على المسلم وجوباً عَيْنِيًّا أن
يتعلم ما يستقيم به دينه، ويصح به توحيده،
ويتعبد الله تعالى به، ويحل به الحلال،
ويحرم به الحرام، ويتخلق به بالأخلاق
الحميدة، ويتأدب به بالآداب القويمة. لكن
هذا العلم والأصل الأول وهو «معرفة الحق
من الباطل» لا ينفع صاحبه ما لم ينضم إليه

الأصل الثاني وهو «إيثار الحق على الباطل»
أي: العمل بهذا العلم، لذا قيل: «هتف
العلم بالعمل، فإن استجاب وإلا ارتحل».

ولقد قرن الله تعالى العمل بالإيمان في
مواضع كثيرة من كتابه العزيز، فقال: ﴿إِنَّ
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [مريم: ٩٦]،
وقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾
[العصر: ٣]، وغير ذلك؛ لأن العمل هو ثمرة
العلم، فمن علم الحق وخالفه كان ذلك حجة
عليه لا له، وفي الحديث: «القرآن حجة لك
أو عليك»^(١)، حجة لك إذا عملت به وحجة

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣)

عليك إذا جعلته وراء ظهرك وهجرته، فلم تعتقد ما دلّ عليه من العقائد، ولم تأخذ ما فيه من العبادة المشروعة، ولم تحل حلاله، ولم تحرم حرامه، ولم تحكمه في شؤون حياتك.

اعلم أخي القارئ - وفقك الله تعالى إلى العلم النافع والعمل الصالح - أن مَنْ لم تحصل له «معرفة الحق من الباطل» فهو الضالُّ، ومن ليس عنده «إيثار الحق على الباطل» فهو مغضوبٌ عليه.

ثم قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وما تفاوتت منازل الخلق عند الله في الدنيا والآخرة إلا

بقدر تفاوت منازلهم في هذين الأمرين» فهذا حقٌّ لا ريب فيه حتى الرسل يتفاوتون، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّن كَلَّمَ اللَّهُ^ط وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وغير الرسل كذلك، وسبب هذا التفاوت يكون بتحقيق هذين الأصلين: «معرفة الحق من الباطل، وإيثار الحق على الباطل»، فَمَنْ زاد علمه ومعرفته وتمسك بالحق وآثره على الباطل زادت درجته وفضله، ومن نقص من ذلك نقصت درجته بقدر ما نقص من العلم والعمل، ولذا جاء في الدعاء المأثور المشهور: «اللَّهُمَّ أرنا الحق

حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه»؛ لأن كثيراً من الناس لا يعرف الحق من الباطل، بل ربما التبس عليه الحق بالباطل، فناسب أن نسأل الله - تعالى - أن يبصّرنا في ديننا لنعرف الحق من الباطل، ولكن لا يكفي أن يعرف الإنسان الحق من الباطل، بل لابد له من اتباع الحق وإيثاره على الباطل، واجتناب الباطل بجميع صورته وأشكاله، فناسب أن نسأل الله - تعالى - أن يرزقنا اتباع الحق واجتناب الباطل.

أخي القارئ الكريم، إذا عرفت ذلك شاهدت اليوم كثرة الهالكين لتفريطهم في

هذين الأصلين؛ إما لعدم معرفة الحق من
الباطل، وإما لعدم إيثار الحق على الباطل.
اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه،
وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، والحمد
لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، وصلى الله
على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.